ردود العيني النحوية على ابن مالك في كتابه عمدة القاري

م.د. محمد جاسم عبد الساطوري

٢٠٠٨

الْمُقَدِّمَــةُ

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعدُ ...

فمن عظيم الله تعالى ومنّه أن يسّر لي الخوض في غمار الحديث النبوي في أطروحة الدكتوراه ، ثم وجدته أرضاً خصبة لزراعة النتاجات العلمية .

ومن خلال هذا العمل وقع اختياري على موضوع (**ردود العيني على ابن مالك في كتابه عمدة القاري شرح صحيح البخاري**) لما لها من أثر علمي ، إذ إن مثل هذه الموضوعات تبعث في نفس المتتبع والدارس كثير تأمل وعناية فائقة لفهم النصوص ثم الخروج بنتيجة تكاد تكون قريبة من الصواب ، وحالي في هذا البحث حال كثير من الدارسين لا يخلو من الخطأ والسهو ، فما كان من صواب فبتوفيق الله ﷻ ، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ، وحسبي أن بذلت جهداً أعملتُ فيه العقل وأجهدتُ فيه النفس ، كي أقدم شيئاً لعله يكون في قابل الأيام فرصة جديدة لأحد طلبة العلم ، فقد وجدت العيني في ردوده على صورتين :

الأولى : ردود مصرّح بها بـ (هذا تكلّف) أو (هذا تعسّف) وغيرهما من الألفاظ .

والأخرى : إن الردّ يكون ضمنا وليس بالتصريح فيرجح تارة بعضاً من الآراء التي يخالف بها ابن مالك فتكون بالنتيجة رداً عليه .

فالصورة الأولى فلم ترد إلا في عشر مواضع اقتصرتُ على أربعٍ منها خشية الإطالة ، فأردت في عملي هذا فتح طريق لطلبة العلم للخوض فيٍ مثل هذا العمل .

أما الصورة الثانية فهي الأكثر شيوعاً في كتابه عمدة القاري التي تصل بمجموعها إلى سبعين مسألة وقد تزيد .

ولم يكن العيني في ردوده أو في بعض ألفاظه التي ظاهرها ينبئ عن تجاوز إلا أن العيني لم يقصد النيل من ابن مالك ، وإنما هي اجتهادات ووجهات نظر تقدح في ذهن القارئ وفي مثل هذا الأمر مندوحة .

وإذا أردت أن أحكم حكماً عامّا على طبيعة الردود فلا يسعني إلا أن أقول : إن العيني تمحل في كثير من المسائل إلا أني وجدته قريباً من الصواب في مسألة واحدة هي مجيء (يا) للنداء إذا وليها حرف .

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مسائل رتبتها حسب حروف الهجاء :

- (إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل .
- العطف من غير حرف العطف .
- ما حكم حرف العطف إذا التقى بحرف الاستفهام ؟ هل التقديم أو التأخير ؟ .
- (يا) بين النداء والتنبيه .

وختاماً أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ويرزقنا القبول .

العيني في سطور [1]

- هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف ابن محمد البدر الحلبى الأصلى القاهرى الحنفى المعروف بالعينى .
- ولد سابع عشر رمضان سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة .
- طلب النحو والصرف والمنطق والأصول والمعانى والبيان إضافة إلى علوم الشريعة ، وبرع فيها كلها .
- ولي قضاء الحنفية بالقاهرة في سنة ٨٢٩ .
- ثم أنصرف إلى الجمع والتصنيف والتدريس .
- تصانيفه كثيرة جدا منها :
  - شرح صحيح البخاري المسمى (عمدة القاري) .
  - شرح معانى الآثار للطحاوى .
  - رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق .
  - الشواهد الواقعة في شروح الألفية .
  - شرح التسهيل لابن مالك .
  - حاشية على شرح الألفية .
  - حاشية على التوضيح .

(١) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، ٢٨٥/٢ ، ونظم العقيان في أعيان الأعيان ، للسيوطي ، ٦٠/١ .

- حاشية على شرح الجاربردي في التصريف .
- مقدمة في الصرف .
- مقدمة في العروض وغيرها .

- توفي ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمان مائة ودفن بالقاهرة ، رحمه الله .

ابن مالك في سطور [١]

- هو : محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الإمام العلامة الأوحد جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق .
- ولد سنة ٦٠١هـ .
- تصدر بحلب لإقراء العربية وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان إماماً في القراءات وعللها صنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية ، وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها ، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يشق لجه ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمراً عجيباً ، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية ، هذا مع الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل ، أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل وتخرج به جماعة .

- **ومن تصانيفه :**

- سبك المنظوم وفك المختوم .
- وكتاب الكافية الشافية ثلثة آلاف بيت وشرحها .
- والخلاصة وهي مختصر الشافية .
- وإكمال الإعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير .
- ولامية الأفعال وشرحها .
- وفعل وأفعل .
- والمقدمة الأسدية وضعها باسم ولده الأسد .

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ، للصفدي ، ٤٤٣/١ .

- وعدة اللافظ وعمدة الحافظ .
- والنظم الأوجز فيما يهمز .
- والاعتضاد في الظاء والضاد مجلد .
- وإعراب مشكل البخاري ، وغير ذلك .

- توفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة بدمشق رحمه الله تعالى .

(إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل

أولاً : رأي ابن مالك : ((مجيء (إذ) بمعنى (إذا) في المستقبل)) عند طائفة من النحاة .

قال ابن مالك ت (٦٧٢ هـ) : ((وقوله (إذ يخرجك قومك) [١] استعمل فيه (إذ) موافقة لـ (إذا) في إفادة الاستقبال ، وهو استعمال صحيح غَفَلَ عن التنبيه عليه أكثر النحويين ، ومنه قوله تعالى : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) [٢] ، و قوله تعالى : (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) [٣] ، وقوله تعالى: (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) [٤] .

وكما استُعْمِلَت (إذ) بمعنى (إذا) استُعْمِلَت (إذا) بمعنى (إذ) كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ)[٥] ، وكقوله تعالى : (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) [٦]، وكقوله

---

(١) صحيح البخاري .
(٢) مريم : ٣٩ .
(٣) غافر : ١٨ .
(٤) غافر : ٧٠ – ٧١ .
(٥) آل عمران : ١٥٦ .
(٦) التوبة : ٩٢ .

تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) [1] ؛ لأن (لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) و (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) مقولان فيما مضى .

وكذا الانفضاض المشار إليه واقع أيضاً فيما مضى ، فالمواضع الثلاثة صالحة لـ (إذ) وقد قامت (إذا) مقامها)) [2] .

قال ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ) : ((هكذا ذكره ابن مالك وأقرّه عليه غيرُ واحدٍ)) [3] .

إذن فابن مالك يرى :

- أنّ (إذ) موافقة لـ (إذا) في إفادة المستقبل .
- استعمالها في ذلك صحيح وإنْ غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين .
- أنه استعمال قرآني ، وله أمثلة كثيرة ذكر بعضاً منها .
- أنّ (إذا) تقوم مقام (إذ) أيضاً في الدلالة على الماضي .

(١) الجمعة : ١١ .
(٢) شواهد التوضيح : ٦٢ – ٦٣ .
(٣) فتح الباري :

أدلة ابن مالك على قوله :

- ورود السماع بذلك في القرآن الكريم كما في الآيات التي ذكر طائفة منها .
- استعمال (إذا) بمعنى (إذ) فلا مانع إذن من عكس المسألة .
- صلاحية قيام (إذا) مقام (إذ) والعكس في هذه الشواهد المسموعة .

ثانياً : رأي العيني في المسألة :

اعترض العيني ت (٨٥٥ هـ) على ابن مالك بقوله : ((بل غفلوا عنه ؛ لأنّ التنبيه على مثل هذا ليس من وظيفتهم ، وإنما هو من وظيفة أهل المعاني)) [(١)] .

الملاحظ على اعتراض العيني أنه يعترض على ابن مالك من جوانب ثلاثة :

الأول : أنّه ينفي أن يكون بعض النحاة قد قالوا : بأن (إذ) بمعنى (إذا) كما يشعر به قول ابن مالك : ((غفل عن التنبيه عليه أكثر النحاة)) .

الثاني : أن هذا الإغفال ترك منهم لا غفلة عنه ؛ لأنه ليس من وظيفتهم ، قال ابن حجر العسقلاني عن ابن مالك : ((وتعقّبه شيخنا - شيخ الإسلام - بأن النحاة لم يغفلوه بل منعوا وروده)) [(٢)] .

والثالث : أن التنبيه على هذه المعاني من وظيفة أهل المعاني لا من وظيفة أهل النحو .

وزاد (ابن حجر) في الاعتراض على ابن مالك أن النحاة أوّلوا ما ظاهره ذلك ، وقالوا في مثل هذا : ((استعمل الصيغة الدالة على المضي لتحقق وقوعه فأنزلوه منزلته)) .

---

(١) عمدة القاري ٥٨/١ – ٥٩ .
(٢) فتح الباري ١٤٦/٣ .

أدلّة هذا الرأي :

١. عدم تصريح النحاة بذلك .
٢. عدم تعلق البحث النحوي بهذا التوجيه ؛ لأنه من وظيفة أهل المعاني .
٣. أنهم أوّلوه على غير ما ذكر ابن مالك .
٤. رواية الشاهد الحديثي عند البخاري نفسه بلفظ : ((حين يخرجك قومك)) [١] .

ترجيح ابن حجر العسقلاني :

يرى ابن حجر أن ما ادعاه ابن مالك فيه ارتكاب مجاز ، وما ذكره غيره يقصد تأولهم استعمال صيغة الماضي لتحقق الوقوع فيه ارتكاب مجاز ، ثمّ رجح مجازهم على مجاز ابن مالك وجعله الأَوْلى ؛ لما ينبني عليه من أن إيقاع المستقبل في صورة المضي تحقيقاً لوقوعه أو استحضاراً للصورة الآتية في هذه دون تلك مع وجوده في أفصح الكلام وكأنه أراد منع الورود وروداً محمولاً على حقيقة الحال لا على تأويل الاستقبال [٢] .

ثالثاً : آراء أخرى :

على تفسير بعض الآيات التي ورد استعمال (إذ) بمعنى (إذا) فيها إمّا :

١. على المضي لا على الاستقبال كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ) [٣] على قول (السدي) و (قطرب) في تفسيرهما إذ فسروها (على وجه)

(١) فتح الباري ٢٢٧/٣ .
(٢) ينظر : فتح الباري ٢٢٨/٣ .
(٣) المائدة : ١١٦ .

: قال ذلك له حين رفعه إلى السماء ، وقالت النصارى فيه ما قالت ، وإن ضعّفه القرطبي [١] .

قال أبو حيّان ت (٧٤٥ هـ) : ((والظاهر أنها على أصل وضعها وأن ما بعدها من الفعل الماضي قد وقع ولا يؤول بيقول ، قال السدي وغيره كان هذا القول من الله تعالى حين رفع عيسى إليه وقالت النصارى ما قالت وادعت أن عيسى أمرهم بذلك واختاره الطبري ...)) [٢] .

٢. أنها حكاية حال ، قاله الزمخشري ت (٥٣٨هـ) في قوله تعالى : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) [٣] هي حكاية حال ماضية ، وتابعه السهيلي ت (٥٨١هـ) في ذلك [٤] .

قال أبو حيان : ((وفي ذلك نظر)) [٥] .

٣. أنها زائدة : وهو قول أبي عبيدة في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ...) كما نقله أبو حيان [٦] .

مناقشة أو تحليل :

(إذْ) ظرف لما مضى من الزمان [٧] .

و (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان [٨] .

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي ٣٧٤/٦ .

(٢) البحر المحيط ٦٢/٥ .

(٣) البقرة : ١٢٧ .

(٤) ينظر : نتائج الفكر ٩٣ .

(٥) البحر المحيط ٥٥٨/١ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٦٢/٥ .

(٧) ينظر : الكتاب ٦٠/٣ ، والمقتضب ٥٤/٢ ، وحروف المعاني ٦٣ ، والجنى الداني ٢١١ .

(٨) ينظر : حروف المعاني ٦٣ ، والجنى الداني ٣٦٢ .

هذا هو الأصل عندهم ، ولا خلاف فيه بين ابن مالك والعيني ، وإنما الخلاف في ادّعاء العيني منع النحاة الإبدال بينهما في الاستعمال ، ويؤيده ما ذكره السهيلي عن بيت أبي النجم :

نمنّ بأرحامٍ إليهم قريبة ولا قُرْب بالأرحامِ إذ لا تقرب

فقد قال : ((إن (إذ) بمعنى (إذا) غير معروف في الكلام ولا حكاه ثبتٌ ، وما استشهد به من قول أبي النجم ليس على ما ظنّ [١] ، إنما معناه : ثم جزاه ربي إن جزى ، أي : من أجل أن نفعني وجزى عني ، و (إذ) بمعنى (أن) المفتوحة ، كذا قال سيبويه في سواد كتاب)) [٢] ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه العيني العيني تماماً .

ولم أقف على ما ذكره من نسبة القول إلى سيبويه غير أن الدكتور عبد العال سالم مكرم ذهب [٣] بعد أن نقل نصوصاً من كلام سيبويه إلى أن (إذ) عند سيبويه لا تقع دالة على الاستقبال ، وتابع سيبويه في هذا الرأي جمهور النحويين [٤] .

والذي أفهمه من الإشارة إلى رأي جمهور النحاة لا يجيزون صرف معنى (إذ) إلى (إذا) بل يصرفون معنى الفعل المضارع إلى معنى الماضي كما يفهم من قول أبي حيّان : ((إذ : من الأدوات المخلصة للمضارع إلى الماضي ؛ لأنها ظرف لما مضى من الزمان [٥] .

وقول ابن هشام : إن ((الجمهور لا يثبتون هذا القسم ويجعلون الآية (**إذ الأغلال في أعناقهم**) من باب (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**) [٦] أعني من تنزيل المستقبل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع)) [٧] .

---

(١) يقصد : ابن هشام في سيرته .
(٢) نتائج الفكر : ٩٣ .
(٣) ينظر : أسلوب (إذ) في الدراسات القرآنية والنحوية ٢٥ .
(٤) ينظر : خزانة الأدب ١٩٤/٣ .
(٥) البحر المحيط ٣٧١/١ .
(٦) الكهف : ٩٩ .
(٧) مغني اللبيب ٨٦/١ .

لذلك ذهب الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة إلى أن الفعل بعد (إذ) بمعنى الماضي ؛ لأنها تصرف المضارع إلى الماضي [١] على أنه لا يثبت على هذا الرأي كما سيأتي .

فعلى هذا يكون رأي الجمهور على تفسير الفعل المضارع بعد (إذ) بمعنى الماضي لا تفسير (إذ) بمعنى (إذا) ، وهو ما نبّه عليه ابن مالك بالإغفال ، لكنه يؤكد أن النحاة خاضوا في هذه المسألة وأنها ليست من وظيفة أهل المعاني فحسب .

فهذا ابن أبي الربيع ت (٦٨٨ هـ) - وهو معاصر لابن مالك يقول - : ((أما (إذ) فتضاف إلى الجملة الفعلية وإلى الجملة الاسمية ، فإذا أضيفت إلى الجملة الفعلية فالفعل ماضٍ ... وتضاف إلى الفعل المضارع وتكون من وضع المضارع موضع الماضي ؛ لأن (إذ) لما مضى من الزمان ، قال الله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) [٢])) [٣] ؛ لأن الحديث عن دلالة المضارع على المضي مع (إذ) لا تختلف كثير اختلاف عن استعمال (إذ) في معنى (إذا) .

فأرى أن عبارة ابن مالك بنسبة الإغفال إلى النحاة أدق من عبارة العيني بأن نقاش المسألة ليس من وظيفتهم ، كما أن عبارة ابن مالك في نسبة استعمال (إذ) بمعنى (إذا) على القلة أدق من عبارة العيني الذي نسب المنع إليهم وعدم وجود القائل الثَّبْت بذلك على حد عبارة السهيلي .

وهذا ابن هشام ت (٧٦١ هـ) يؤكد أن الفعل المضارع بعد (إذ) باقٍ على دلالة الاستقبال لفظاً ومعنًى ، وليس أدلّ من ذلك عبارة على ما ذهب إليه ابن مالك ، قال : ((إن (يعملون) مستقبل لفظاً ومعنًى ؛ لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد أعمل في (إذ) فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا) [٤].

(١) ينظر : ينظر : دراسات أسلوب القرآن ١٠٣/١ .
(٢) الأحزاب : ٣٧ .
(٣) البسيط في شرح جمل الزجاجي : ٨٧٨ .
(٤) مغني اللبيب ٨٦/١ .

أما من حيث مجيء بعضها بدل بعض ، فقد قال ابن فارس ت (٣٩٥هـ) : ((وقال آخرون (إذ) و (إذا) بمعنى ، كقوله جلّ ثناؤه : (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا) [١] ، بمعنى (إذا) ، قال أبو النجم :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى جنات عدنٍ في العلا لي العلا

المعنى : إذا جزى لأنه لم يقع)) [٢] .

وقال الثعالبي : ((... (إذ) بمعنى (إذا) كما قال الله ﷻ : (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) ومعناه : إذا فزعوا ... ؛ لأن (إذا) و (إذ) بمعنى واحد في بعض المواضع [٣] .

وقال الرضي ت (٦٨٦هـ) : ((قد تكون (إذا) للماضي كـ (إذ) كما في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) [٤] ، و (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) [٥] و (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً) [٦] ، كما أن (إذ) تكون للمستقبل كـ (إذا) ...)) [٧] .

---

(١) سبأ : ٥١ .
(٢) الصاحبي ١١٢ .
(٣) فقه اللغة ٥٣٤ .
(٤) الكهف : ٩٣ .
(٥) الكهف : ٩٦ .
(٦) الكهف : ٩٦ .
(٧) شرح الرضي على الكافية ٢٧٠/٣ .

قال ابن أم قاسم المرادي ت (٧٤٩هـ) في (إذ) : ((أن يكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى (إذا) ، ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم ابن مالك ...)) [١] .

وقال ابن منظور من غير نسبة إلى قال : ((وقال غيره - يقصد غير الليث - : العرب تضع (إذ) للمستقبل ، و (إذا) للماضي ، قال الله ﷻ : (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا) ، معناه : ولو ترى إذ يفزعون يوم القيامة)) [٢] .

وقال أبو حيان : ((... (إذ) ظرف لما مضى من الزمان ، فإمّا أن يتجاوز فيه فيكون بمعنى (إذا) ...)) [٣] .

وقال ابن الشجري ت (هـ) عن بيت أبي النجم : ((فوضع (إذ) موضع (إذا) ..)) [٤] .

ولأجل ذلك قال العكبري ت (٦١٦هـ) : ((وهو كثير في القرآن)) [٥] ، وتابعه القرطبي ت (٦٧١هـ) [٦] ، والعز بن عبد السلام [٧] ، وأبو حيّان [٨] .

كل هذه النقولات جعلت شيخاً كـ (محمد عبد الخالق عضيمة) يقول : النصوص السابقة التي أوردناها وفيها السابق عن السهيلي والمتأخر عنه تشهد بأن (إذ) بمعنى (إذا) ، وهو رأي جماعة كثيرة ، وما الذي يمنع أن تقوم الأدوات بعضها مقام بعض تجيء (إذ) بمعنى (إذا) كما تجيء (إذ) ...)) [٩] .

---

(١) الجنى الداني : ٢١٢ .
(٢) لسان العرب ١٠٨/١ (تفسير إذ) .
(٣) البحر المحيط ٢٣/٧ .
(٤) أمالي ابن الشجري ٤٥/١ .
(٥) إعراب القرآن : ١٠٢/١ و ١٠٥/٢ .
(٦) تفسيره : ٣٧٢/٣ .
(٧) الإشارة إلى الإيجاز : ٢٦ .
(٨) ينظر : البحر المحيط ٥٨/٤ و ١٩١/٦ و ٤٧٤/٧ .
(٩) دراسات لأسلوب القرآن : ١٤٥/١ .

وقال في موضع آخر : ((... (إذ) للزمن المستقبل ، فهي بمعنى (إذا) ومستعملة استعمالها كما قُرِئَ في السبع بـ (إذ) و (إذا) في قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) [1] قرأ الأربعة من السبعة (والليل إذا أدبر) ...)) [2] .

ولذلك ذهب الدكتور عبد العال سالم مكرم في دراسته لـ (إذ) إلى أن الرأي الذي يميل إليه هو جواز وقوعها موقع (إذا) الدالة على المستقبل ؛ لأن الأدوات يقع بعضها موقع بعض لاعتبارات بلاغية تدرك من الموقف وتتضح من السياق ويشير إليها الأسلوب ...)) [3] .

ومما يسعف قول ابن مالك وورود روايات كثيرة في صحيح البخاري تعضد ما ذهب إليه ، منها :

- ما رواه مجاهد رضي الله عنه قال : كنّا عند ابن عباس رضي الله عنهما فذكروا الدجّال أنه مكتوب بين عينيه كافر ، فقال ابن عباس : لم أسمعه ولكنّه قال : أمّا موسى كأنّي أنظر إليه إذ انحدر في الوادي يُلَبّي)) [4] ، وفي رواية أبي ذر الهرويّ [5] : (إذا انحدر) [6] .

وحكى القاضي عياض ت (٥٤٤هـ) إنكار بعض العلماء في ورود (إذا) في الحديث السابق (إذ انحدر) وأنهم غلّطوا رواته ، ثمّ عقّب بأن هذا الإنكار هو الغلط ، إذ لا فرق بين (إذ) و (إذا) هنا ؛ لأنه وصفه حالة انحداره [7] .

وفصّل الكرمانيّ ت (٧٨٦هـ) القول فيهما ، فمجيء الرواية بـ (إذا) على إخبار في المستقبل ، ولم يثبت أن موسى عليه السلام حيّ وأنه سيحجّ ، وإنما أتى ذلك عن عيسى عليه السلام ، أما رواية (إذ) فتكون أنسب لتوافقها مع الزمن

---

(١) المدثر : ٣٣ .
(٢) دراسات لأسلوب القرآن : ١٠٥/١ .
(٣) أسلوب (إذ) في الدراسات القرآنية والنحوية : ٢٦ .
(٤) صحيح البخاري ٧٢/٣ (١٥٥٥) .
(٥) أحد رواة الجامع الصحيح (صحيح البخاري).
(٦) ينظر : إرشاد الساري ١١٩/٣ .
(٧) ينظر : مشارق الأنوار ٢١٤/١ ، وفتح الباري ٥٠٩/٣ ، وعمدة القاري ١٨١/٩ ، ١٨١/٩ ، وإرشاد الساري ١١٩/٣ .

الماضي بأن يراه النبي ﷺ في المنام أو يوحى إليه هذا من جهة السياق النحو ، أمّا من الجهة الحديثية فالمناسب لذكر الدجّال هو عيسى عليه السلام وليس موسى [١] .

وتعقّبه القسطلاني ت (٩٢٣هـ) بأنه لا فرق بين موسى وعيسى عليهما السلام ؛ لأنه لم يثبت أن عيسى عليه السلام منذ رُفِع نزل إلى الأرض ، وإنما ثبت أنه سينزل عند أشراط الساعة [٢] وثبت ما يشبه الرواية السابقة بلفظ (موسى) عند مسلم : ((كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية)) [٣] .

إذن ثبوت الرواية بـ (إذا) و (إذ) معتمد على لفظ (موسى) أو (عيسى) عليهما السلام بين إثبات وإنكار ، وربما يكون الوجه أن النبي ﷺ أخبر عمّا أُوحي إليه من الأمر وما حصل منهم وإن لم يَرَهُم رؤية عين [٤] ، وعلى هذا تكون الروايتان صحيحتين .

إن ما أورده العيني على ابن مالك غير مسلّم به ؛ لأن ابن مالك لم يوحِ كلامه أن الأصل في (إذ) و (إذا) أن يقع كل واحد منهما بدل الآخر ، ولكنه عاين في نصوص القرآن الكريم فوجد أنهما يتبادلان المواقع ، فمن حبكته أنه نبّه على مثل هذا ، فيكون العيني قد حجّر واسعاً والله أعلم .

العطف بغير حرف العطف

(١) ينظر : الكواكب الدراري ٨١/٨ .
(٢) ينظر : إرشاد الساري ١٢٠/٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٨/٢ (١٦٦) .
(٤) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧٨/٢ – ٧٩ .

قال ابن مالك : عند كلامه على قول عمر رضي الله عنه : ((صلّى رجلٌ في إزار ورداء ، في إزار وقميص ، في إزار وقباء)) [1] ((فحذف حرف العطف مرتين لصحّة المعنى بحذفه)) [2] .

وقال العيني : ((الأصل في العطف أن يكون بالأداة وما نصّ عليه ابن مالك غير مشهور بخلاف ما عليه الجمهور)) [3] .

الأصل في حروف العطف أن تعمل ظاهرة ، واختلف في عملها محذوفة ، فذهب أبو إسحاق الزجاج ت (٣١١هـ) وأبو عليّ الفارسيّ ، وابن عصفور ت (٦٦٩هـ) [4] ، وابن مالك وغيرهم [5] إلى جواز ذلك كقوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) [6] ، أي : صمّ وبكمٌ وعميٌ [7].

وكقول الشاعر [8] :

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيتَ مما يَغرسُ الودَّ في فؤادِ الكريمِ

أراد : كيف أصبحت وكيف أمسيت .

وكقول الشاعر :

وكيف لا أبكي على علاّتي صبائحي ، غبائقي ، قيلاتي

أي : صبائحي وغبائقي [9] .

---

(١) صحيح البخاري ٢١٣/٣ (١٢١٠) .
(٢) شواهد التوضيح ١١٧ .
(٣) عمدة القاري ٤٢/١ – ٤٣ .
(٤) ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢١٥/١ .
(٥) كالأزهري والسيوطي . ينظر : شرح التصريح ١٥٩/٢ ، وهمع الهوامع ١٩٣/٣ ، وحاشية الصبان ١٧٣/٣ .
(٦) البقرة : ١٨ .
(٧) ينظر إعراب القرآن للزجاج ٨٠٣/٣ وما بعدها .
(٨) لم يعلم قائله . ينظر : الخصائص ٨٤/١ ، وشرح الأشموني ١٧٣/٣ ، وشرح التصريح ١٥٩/٢ .
(٩) ينظر : الخصائص ٨٤/١ و١٨٨ .

وكقول الحطيئة [١] :

إن امرأً رَهْطُهُ بالشامِ منـزلُهُ ِرَمْلِ يَبْرِيْنَ جاراً شدَّ ما اغتربا

أي : ومنـزله برمل يبرين [٢] .

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ : ((تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ)) [٣] ، أي : من دينـاره إن كان ذا دنانير ، ومن درهمه إن كان ذا دراهم [٤] .

وكقول الراجز [٥] :

ضربـاً طِلَخْفـاً في الطلى سَخينـا

وحكى أبو عثمان المازني عن أبي زيد أنه سمع : أكَلْتُ خبزاً لحماً تمراً ، أراد : خبزاً وتمراً ، وقيل : على بدل الإضراب [٦] ، ولا يكون ذلك إلاّ في (الواو) و (أو) [٧] .

ويشبه ذلك ما حكاه أبو الحسن : ((أَعْطِهِ دِرْهماً درهمينِ ثلاثةً)) ، على الاحتمالين السابقين [٨] .

---

(١) ديوانه : ١٤ .
(٢) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٧٥/٤ .
(٤) ينظر : شفاء العليل ٧٩٥/٢ .
(٥) لم يعلم قائله . ينظر : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢١٥/١ ، ولسان العرب ٥٧٦/٥ .
(٦) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٧) ينظر : شفاء العليل ٧٩٥/٢ – ٧٩٦ ، وشرح الأشموني ١٧٩/٣ ، ومغني اللبيب اللبيب ٤١٢/٢ ، وفي رواية الخصائص ٨٤/١ و١٨٨ : أكلت لحماً سمكاً تمراً .
(٨) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .

ومَنْ أجازَ مثل هذا حمل قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) [١] ، أي : ووجوه ، عطف على (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) [٢] ، وكقوله تعالى : (أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [٣] في قراءة مَنْ قرأ بفتح همزة (إنّ) [٤] عطفاً على قوله تعالى : (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) [٥] ، أي : وأنّ الدين عند الله الإسلام [٦].

وردّ ابنُ هشام قراءة الكسائي بقوله : ((ويبعده أن فيه فصلاً بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب ، وبين المنصوبين بالمرفوع)) [٧] .

وإذا قيس هذا الحذف على حرف الاستفهام فإنما ((جاز حذف حرف الاستفهام اتفاقاً ؛ لأن للاستفهام هيئة تخالف هيئة الإخبار)) [٨] .

أما المذهب الثاني فمنع عمل حروف العطف مضمرة ؛ ((لأنه الحروف دالة على معاني في نفس المتكلم ، وإضمارها لا يفيد معناها ...)) [٩] .

ومن هؤلاء ابن جنيّ ت (٣٩٢هـ) ، وابن الضائع ت (٦٨٠هـ) ، والسهيلي ت (٦٨٨هـ) ، وتبعهم ابن قيّم الجوزية ت (٧٥١هـ) .

وقيّد ابن هشام وروده بالشعر [١٠] .

وثمرة هذا الخلاف أن ابن مالك لم يجعل عمل حروف العطف مضمرة هو الأصل ولكن تعدد الشاهد في مثل هذا ، ربما يخرجه ولو نزراً يسيراً عن الندرة

---

(١) الغاشية : ٨ .
(٢) الغاشية : ٢ .
(٣) آل عمران : ١٩ .
(٤) وهي قراءة الكسائي . ينظر : الحجة للقرّاء السبعة ٢٣/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر البشر ٢٢١ ، والنشر ٢٣٨ .
(٥) آل عمران : ١٨ .
(٦) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٧) ينظر : مغني اللبيب ٤١٢/٢ .
(٨) حاشية الصبان ١٧٢/٣ ، وينظر : همع الهوامع ١٩٣/١ .
(٩) همع الهوامع ١٩٣/١ .
(١٠) ينظر : مغني اللبيب ٤١١/٢ .

إلاّ أن العمل بحرف العطف ظاهرة هو المشهور كما مرّ بخلاف ابن جني في جعله من قبيل الشاذ .

فينبني على ما تقدم أن قول عائشة رضي الله عنها الثاني معطوف على الإسناد الأول [١] . بخلاف مَنْ قال : بتعليقه للبخاري [٢] بدليل أن الحديثين قد وردا مفصولين عن بعضهما بالإسناد نفسه كما رواه مسلم [٣] والدارقطني [٤].

(١) ينظر : فتح الباري ٢٥/١ ، وإرشاد الساري ٦٠/١ .
(٢) ينظر : الكواكب الدراري ٢٦/١ .
(٣) صحيح مسلم ١٥٤/٦ (٥٤٢٦) .
(٤) ينظر : فتح الباري ٢٧/١ .

ما حكم حرف العطف إذا التقى بحرف الاستفهام ؟ هل التقديم أو التأخير ؟

قال ابن مالك عند كلامه على قوله ﷺ لورقة بن نوفل : ((فالأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جيء بعده بأخواتها [1] فكان يقال في (أفتطمعون) وفي (أو كلما) وفي (أثم إذا ما وقع) : (فاتطمعون) ، و(وأكلما) و (ثم إذا ما وقع) لان همزة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل ، والعاطف لا يتقدم على جزء مما عطف .

ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أنها أصل أدوات الاستفهام ، لان الاستفهام له صدر الكلام ، وقد خولف هذا الأصل في غير الهمزة فأرادوا التنبيه عليه فكانت الهمزة بذلك أولى ، لأصالتها في الاستفهام وقد غفل الزمخشري في معظم كلامه في الكشاف عن هذا المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة معطوفا عليها بالعاطف ما بعده . وفي هذا من التكلف ومخالفة الأصول ما لا يخفى)) .

قال العيني ت (٨٥٥هـ) : ((لم يغفل الزمخشري عن ذلك وإنما ادعى هذه الدعوى لدقة نظر فيه ، وذلك لان قوله (أو مخرجي هم) جواب ورد على قوله : (إذ يخرجك قومك) على سبيل الاستبعاد والتعجب ، فكيف يجوز أن يقدر فيه تقديم حرف العطف على الهمزة [2] ، ولان هذه إنشائية وتلك خيرية فلأجل ذلك قد مت الهمزة على أن أصلها : أمخرجي هم بدون حرف العطف ولكن لما أريد مزيد استبعاد وتعجب جيء بحرف العطف على مقدر تقديره : أمعادي هم ومخرجي هم .

وأما إنكار الحذف في مثل هذه المواضع فمستبعد ، لان مثل هذه المحذوف منحليه البلاغة لا سيما الأمارة قائمة عليها والدليل عليها هنا وجود العاطف ،

---

(١) يعني في قولة تعالى : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) (آل عمران : ١٠١) ، وكقوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) (النساء : ٨٨) .

(٢) شواهد ، ٦٤

ولا يجوز العطف على المذكور فيجب أن يقدر بعد الهمزة ما يوافق المعطوف تقديراً في الاستبعاد [١] . اجتمع استفهام وعطف فحق أدوات الاستفهام أن تأتي بعد الحروف العطف كما في قوله تعالى (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ) [٢] ، وقوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) [٣] ، وقوله تعالى : (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) [٤]، وقوله تعالى : (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [٥] ، وغيرها من الآيات .

وقد خُولِفَ هذا الأصل عند دخول الهمزة ، فإنها تتقدم على العاطف تنبيهاً على أصالتها وأنها أمّ الباب وأن الاستفهام له صدر الكلام - كما تقدم - كقوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ) [٦] ، وكقوله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ) [٧] ، وهذا مذهب الجمهور [٨] .

وذهب جماعة منهم الزمخشري ن (٥٣٨ هـ) [٩] ومَنْ وافقه [١٠] إلى أن بين الهمزة وحرف العطف كلاماً محذوفاً يقتضيه السياق ، وما بعد العاطف معطوف على ذلك المقدّر .

---

(١) عمدة القاري ٥٩/١ .
(٢) آل عمران : ١٠١ .
(٣) النساء : ٨٨ .
(٤) الأنعام : ٨١ .
(٥) الأنعام : ٩٥ .
(٦) البقرة : ٧٥ .
(٧) البقرة : ٨٧ .
(٨) ينظر : الكتاب ٦٧/٣ ، والمقتضب ١١٣/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٨ – ٧٨ .
(٩) تفسير الكشاف ٦٦/١ .
(١٠) منهم العيني في عمدة القاري ٥٩/١ ، وأبو السعود في تفسيره ١٤٨/١ .

هذا ما قاله الزمخشري في كشافه في غير موضع ، من ذلك : في قوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [١] ((ألا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه فتعقلون)) [٢]، وكقوله تعالى تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ) [٣] ، وكقوله تعالى : (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) [٤] ، ((ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم)) [٥] .

وقال أيضاً في الفائق عند كلامه على : (أويأكلها أحد) : ((الواو في (أويأكلها) هي العاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام ، والمعطوف عليه مثل هذا الكلام محذوف مقدّر)) [٦] .

ولم يقتصر هذا القول على الزمخشري فحسب ، بل نقله غيره من النحويين من غير تفنيد وكأنه مقرّ به كما جاء في شرح ابن عقيل في قوله : ((قد يحذف المعطوف عليه ، وجعل منه قوله تعالى : (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ) ، قال الزمخشري: التقديم ألم تأتكم آياتي فلم تكن تتلى عليكم ، فحذف المعطوف عليه وهو (ألم تأتكم) ...)) [٧] .

---

(١) البقرة : ٤٤ .
(٢) تفسير الكشاف ٦٦/١ .
(٣) الأعراف : ٦٣ .
(٤) الجاثية : ٣١ .
(٥) تفسير الكشاف ٤٤٤/٣ .
(٦) الفائق في غريب الحديث والأثر ٨٢/١ (الحاء مع التاء) .
(٧) شرح ابن عقيل ٢٤٣/٣ .

وربما وَهِمَ ابنُ مالك في قوله : ((وقد رجع الزمخشري عن الحذف إلى ترجيح الهمزة على أخواتها بتكميل التصدير)) [١] ، وتابعه في هذا أبو حيان بقوله : ((وقد رجع عن هذا القول في بعض تصانيفه إلى قول الجماعة)) [٢] .

وتعقّب الرضيُّ ت (٦٨٦ هـ) الزمخشريَّ بأنّ : ((هذه الحروف ولو كانت كما قال ، لجاز وقوعها في أول الكلام قبل تقدم ما يكون معطوفاً عليه ، ولم تجئ إلا مبنية على كلام متقدم)) [٣] .

ورُدَّ الزمخشري أيضاً بعدم الاطراد ، ((إذ لا يمكن في النحو (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ) [٤] ، وبأن فيه حذف جملة معطوفة عليها من غير دليل)) [٥] .

وعند تتبع المواضع التي تناولها الزمخشري في كشافه نجده قد تابع رأي الجمهور تارة ، وتارة أخرى يخالفهم فيعود إلى سابق عهده أو يجوّز الوجهين [٦] .

وبهذا يصل الزمخشري إلى جعل اطراد الحكم العطف على الجملة المحذوفة ، ولكنه متى تعذّر ذلك عاد فوافق الجمهور .

إذن فترجيح العيني كلام الزمخشري وتعليله يحمل من الصواب الشيء الكثير الذي لا يمكن إغفاله ، فالزمخشري يقرّ بصدارة همزة الاستفهام حاله حال النحويين ، وإن اطراد الحكم عنده بعد حروف العطف هو العطف على الجمل السابقة إلا في مواضع معينة نبّه عليها في الكشاف ؛ لذلك يحتاج إلى تقدير جملة محذوفة بين الهمزة وحرف العطف والله أعلم .

(يا) بين النداء والتنبيه

(١) شواهد التوضيح ٦٥ .
(٢) البحر المحيط ٢٧١/١ .
(٣) شرح الرضي ٤١٦/٤ .
(٤) الرعد : ٣٣ .
(٥) الجنى الداني : ٩٧ .
(٦) ردود أبي حيان الأندلسي ، أطروحة دكتوراه ص ٣٧ – ٣٨ .

قال ابن مالك ت (٦٧٢) هـ : ((يظن أكثر الناس أن (يا) التي تليها (ليت) حرف نداء ، والمنادى محذوف ، فتقدير قول ورقه على هذا : يا محمد ليتني كنت حيّا ، وتقدير قوله تعالى : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ) [١] : يا قوم ليتني كنت معهم .

وهذا الرأي عندي ضعيف ؛ لأن قائل (يا ليتني) قد يكون وحده ، فلا يكون معه منادي ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) [٢] ، ولأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادّعي فيه الحذف مستعملا فيه ثبوته فحسن حذف المنادى قبل الأمر والدعاء اعتياد ثبوته في محل ادعاء الحذف ، بخلاف (ليت) فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتاً ، فادعاء حذفه باطل ؛ لخلوّه من دليل ، فيتعين كون (يا) التي تقع قبلها لمجرد التنبيه ...)) [٣] .

وقال العيني : ((دعواه ببطلان الحذف غير سديدة ؛ لأنّ دليله لم يساعده ، أمّا قوله : لأن قائل (ليتني قد يكون وحده ... فظاهر الفساد ؛ لأنه يجوز أن يقدر فيه نفسي فيخاطب نفسه على سبيل التجريد ، فالتقدير في الآية : يا نفسي ليتني متّ قبل هذا ، وههنا أيضاً يكون التقدير : يا نفسي ليتني كنت فيها جذعاً .

وأما قوله : لأن الشيء إنما يجوز حذفه فظاهر البعد ؛ لأنه لا ملازمة بين جواز الحذف وبين ثبوت استعماله فيه)) [٤] .

يكاد يكون الإجماع منعقداً بين النحويين في جواز حذف المنادى إذا ولي حرفَ النداءِ فعلٌ [٥] ، ولكنهم اختلفوا في مجيء الحرف بعد أداة النداء :

---

(١) النساء : ٧٣ .
(٢) مريم : ٢٣ .
(٣) شواهد التوضيح ٦٠ .
(٤) عمدة القاري ٥٨/١ .
(٥) ينظر : الإنصاف ٩٩/١ – ١٠٠ ، وشواهد التوضيح ٦٠ ، وهمع الهوامع ٤٨٧/٢ .

- فمنهم من أجاز الحذف مطلقاً حتى مع الحرف كالعكبري وابن الخبّاز ت (٦٣٧ هـ) في قوله : ((فإن وجدتَ بعد حرف النداء فعلاً أو حرفاً فهو على حذف المنادى)) [١] ، وتبعهما العاتكي ت (٨٧٠ هـ) [٢] .

- ومنهم مَن جعلها لمجرد التنبيه كأبي عليّ الفارسيّ [٣] ت (٣٧٧هـ) وابن مالك [٤] وأبي حيان ت (٧٤٥ هـ) [٥] وابن عقيل [٦] والسلسيلي ت (٧٧٠ (٧٧٠ هـ) [٧] والسيوطي ت (٩١١ هـ)[٨] كقوله تعالى : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) [٩] ، وكقوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) [١٠] ،

وكقوله ﷺ : ((يا ربّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة)) [١١] ، وكقول هند أم معاوية بن أبي سفيان [١٢] :

يا رُبَّ قائلةٍ غداً يا وَيْحَ أُمِّ معاويه

وكقول الشاعر [١٣] :

---

(١) ينظر : توجيه اللمع ٣١٨ .
(٢) ينظر : شرح الشذرة الذهبية – رسالة ماجستير : ١٠٧ .
(٣) ينظر : البحر المحيط ٦٥/٧ .
(٤) ينظر : شواهد التوضيح ٦٠ – ٦٢ .
(٥) ينظر : البحر المحيط ٦٥/٧ .
(٦) ينظر : المساعد على تسهيل الفوائد ٤٨٦/٢ – ٤٨٧ .
(٧) ينظر : شفاء العليل ٨٠٤/٢ و ٩٨٠/٣ .
(٨) ينظر : همع الهوامع ٤٨٧/٢ .
(٩) النساء : ٧٣ .
(١٠) يس : ٢٦ – ٢٧ .
(١١) صحيح البخاري : ٤٠/١ (١١٥) .
(١٢) ينظر : شواهد التوضيح ١١٦ .
(١٣) لم يعلم قائله . ينظر : شواهد التوضيح ١١٧ ، وشفاء العليل ٨٠٣/٢ ، والجنى الداني ١٧٢ .

يا رُبَّ سارٍ باتَ ما توسَّدا إلاّ ذراعَ العَنْسِ أو كَفَّ اليدا

وغيرها كثير [١] .

وقد شدّد أبو حيّان النكير على مَنْ جعل (يا) على أصلها وهو النداء في مثل هذه المواضع بقوله : ((والذي يقتضيه النظر أنه لا يجوز ؛ لأن الجمع بين حذف النداء وحذف المنادى إجحاف ولم يرد بذلك سماع من العرب فيُقْبَل ، و (يا) في الآية والبيت ونحوهما للتنبيه)) [٢] .

وربما بالغ ابن مالك في قوله : ((فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتاً ، فادعاء حذفه باطل لخلوّه من دليل)) [٣].

بعد معرفة حجة من أجاز ومن منع يمكننا القول : إن بين النداء والتنبيه التقاء وتقارباً ، ألا ترى أنك إذا ناديت نبّهتَ المنادى ثمّ بالغت في التنبيه للدعوة ، وهذا ما نستطيع أن نتلمسه ونفهمه من سيبويه ت (١٨٠هـ) في قوله : ((وأمّا (يا) فتنبيه ، ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور ، قال الشاعر وهو الشمّاخ [٤] :

ألا يا اسقياني قبل غارةِ سِنْجالِ وقَبْلَ منايا قد حضرْنَ وآجالِ))[٥]

وبهذا المعنى صرّح المرادي لـمّا عرّف (يا) بقوله : أن تكون لتنبيه المنادى نحو : يا زيدُ)) [٦] .

والذي يبدو أن مَنْ جعلها تعمل عمل (ها) التي للتنبيه فقد حجّر واسعاً ، والأمثل والأقرب هو حذف المنادى من غير تقييد ، وجعل (يا) للنداء ، فيكون ردّ العيني يحمل من الوجاهة الشيء الكثير وهو الأقرب للصواب والله أعلم .

---

(١) ينظر : نظرة في أسلوب النداء ، د. فريد محمود العمري ، بحث منشور في مجلة مجلة الأحمدية ع/١٤ ، ٢٠٠٣ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٦٦/٧ .

(٣) شواهد التوضيح ٦١ .

(٤) ينظر : الكتاب ٢٢٤/٤ ، ومغني اللبيب ٧٠٥/١ ، والجنى الداني ٣٥٠ .

(٥) الكتاب ٢٢٤/٤ .

(٦) الجنى الداني ٣٤٩ .

الخـاتمــة والتوصيــات

بعد طول تأمل وصبر لا بد لي أن أوجز ما خلصتُ إليه لكتابة هذا البحث ، وهي على النحو الآتي :

١. إن الخوض في لغة الحديث النبوي يفتح آفاقاً كبيرة للعمل ، فهو ما زال أرضاً خصبة على المستوى اللغوي والنحوي والبلاغي والأسلوبي وما إلى ذلك .
٢. تتضح صورة الاحتجاج بالحديث النبوي من خلال تتبع الردود ، التي كان مبناها معتمد على تدقيق وتصحيح روايات صحيح البخاري التي ذكرها ابن مالك .
٣. لم يكن ابن مالك يقر في كثير من المسائل ان هذا هو الاصل او الاشهر وانما صب جل اهتمامه على تخريج على الروايات التي تقع بين يديه التي ظاهرها الاختلاف وكما هو معلوم ان صحيح البخاري وصلنا بروايات كثيرة تصل الى احدى عشرة رواية كلها صحيحة من جهة النقل الا انها تتفاوت من حيث الوجة لغوية والنحوية بين مشهور واقل شهر وبين نادر ، وبين فصيح واقل فصاحة .
٤. ربما تمحل العيني في كثير من المسائل التي رد بها على ابن مالك ، ولم يكن معها الحق فيما يبدو لي الا في مسألة واحدة .
٥. يؤكد هذا البحث على طلبة العلم بالاهتمام لدراسة الحديث النبوي دارسة لغوية نحوية بلاغية اسلوبية لما يحويه من سعة في الاستعمال وكثرة الروايات .

المصــادر والمراجــع

❖ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** : لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنّاء (ت ١١١٧ هـ) ، وضع حواشيه : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

❖ **ارتشاف الضرب من لسان العرب** : لأبي حيان الاندلسي ت (٧٤٥ هـ) ، تحقيق : د. رجب عثمان محمد ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

❖ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت (٩٢٣ هـ) ، بهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

❖ **الأمالي الشجرية** : لضياء أبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري ت (٥٤٢ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - ١٣٤٩ هـ .

❖ **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** : للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي ت (٥٧٧ هـ) ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

❖ **تفسر القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** : لأبي عبد الله أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١ هـ) ، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ، ط٣ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة - ١٩٦٧ .

❖ **توجيه اللمع** : لأحمد بن الحسين بن الخباز ت (٦٣٧ هـ) ، تحقيق : د. فايز زكي محمد ذياب ، دار السلام ، ط١ ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

❖ **الجنى الداني في حروف المعاني** : حسن بن قاسم المرادي ت (٧٤٩هـ) ، تحقيق : د. طه محسن ، مؤسسة الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

❖ **حاشية الصبّان** : محمد بن علي الصبّان ت (١٢٠٦ هـ) ، تحقيق : محمد ابن الجميل ، مكتبة الصفا ، ط١ ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

❖ **الحجة للقراء السبعة** : لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ت (٣٧٧ هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه : كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

❖ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** : عبد القادر بن عمر البغدادي ت (١٠٩٣ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - ١٩٨٣ .

❖ **الخصائص** : صنعة أبي عثمان ابن جنّي ت (٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - ١٩٩٠ .

❖ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين محمود الآلوسي ت (١٢٧٠ هـ) ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د. ت. .

❖ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت (٧٦٩ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الفكر ، بيروت - لبنان .

❖ **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك** : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الشافعي ت (٩٠٠ هـ) ، مطبوع مع حاشية الصبان .

❖ **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو** : لخالد بن عبد الله الأزهري ت (٩٠٥ هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

❖ **شرح المفصل** : لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ت (٦٤٣هـ) ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة - مصر .

❖ **شرح جمل الزجاجي** : لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي ت (٦٦٧ هـ) ، قدم له ووضع هوامشه : فواز الشعار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

❖ **شرح كافية ابن الحاجب** : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت(٦٨٦هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

❖ **شفاء العليل في إيضاح التسهيل** : لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي ت (٧٧٠ هـ) ، تحقيق : د. الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي ، المكتبة الفيصلية ، ط١ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

❖ **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح** : لجمال الدين بن مالك الأندلسي ت (٦٧٢ هـ) ، تحقيق : د. طه محسن ، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية ، طبع بمطابع دار آفاق عربية للصحافة والنشر .

❖ **صحيح البخاري** : لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ) ، تقديم : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

❖ **صحيح مسلم بشرح النووي** : للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦ هـ) ، طبعة جديدة ومزيدة ومنقحة اعتنى به : محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، مكتبة الصفا ، ط١ ، الدار البيضاء - المملكة المغربية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

❖ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: للحافظ المشهور بـ (البدر العيني) ت (٨٥٥هـ) دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

❖ **الفائق في غريب الحديث** : جار الله ابن عمر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبوعات جامعة أم القرى - ١٩٨٥ .

❖ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** : للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) ، موافقة الترقيم وبتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، اعتنى به : أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

❖ **الكتاب** : لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) ت (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٤ ، مصر ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

❖ **كتاب حروف المعاني** : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت(٣٤٠ هـ) تحقيق : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار الأمل ، إربد - ١٩٨٤ .

❖ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨ هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ ، مطبعة مصطفى محمد - ١٣٤٥ .

❖ **الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري** : الكرماني ت (٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م ، و ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، بيروت - لبنان .

❖ **لسان العرب** : للإمام العلامة ابن منظور ت (٧١١ هـ) ، طبعة مُراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة .

❖ **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** : لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت (٥٤٤ هـ) ، قدم له : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

❖ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : لابن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) تحقيق : حسن حمد والدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

❖ **المقتضب** : صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت (٢٨٥ هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة الأستاذ بجامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

❖ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** : للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ت (٩١١هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .